

الفلسفة Philosophy

يرجع ظهور الفلسفة إلى عصر ما قبل الميلاد، لكنها لم تكن ذات منهج مقنن، إلا أنها مرت بمراحل جعلتها أكثر نضجاً وازدهاراً، وقد عرفت المجتمعات السابقة الفلسفة، إلا أنها كانت ظاهرة في بعض المجتمعات أكثر من غيرها.

وتقوم فكرة الفلسفة على النظر إلى الإنسان والكون نظرة عامة، وهي دراسة طبيعة الواقع والوجود، ودراسة ما يمكن معرفته والسلوك السوي من السلوك الخاطئ.

وقد إنبثق العلوم جميعها من الفلسفة، وتطورت تلك العلوم؛ لذلك نعت اليونانيين الفلسفة بـ(أم العلوم) لأنها كانت تؤدي أبرز وظيفة من وظائف العلم وهي التفسير. ومع ازدهار المعرفة واتساعها، استحال على العقل الواحد الإلمام بها وبهذا الكم الهائل من المعلومات؛ فظهرت الحاجة إلى تخصيص العلوم ودراسة الوقائع المادية، مما أدى إلى ابتكار منهج مناسب يقوم على الملاحظة والتجربة.

مفهوم الفلسفة

أصل كلمة فلسفة هو اختصار لكلمتين يونانيتين، هما: (فيلو) وتعني حُب، و(سوفيا) وتعني الحكمة؛ أي إن معنى الفلسفة هو حُب الحكمة، وينسب بعض المؤرخين هذا الاصطلاح إلى فيثاغورس، الذي أطلق على نفسه لقب فيلسوف، ويرى آخرون أن مصطلح فلسفة يعود إلى أفلاطون؛ حيث استخدمها في وصف سولون وسقراط.

وأرجعه البعض إلى سقراط الذي وصف نفسه بالفيلسوف؛ رغبة منه في تمييز نفسه عن السوفسطائيين الذين يدعون الحكمة، وهم طائفة من الحكماء، أو الخطباء الذين ادعوا امتلاك الحكمة. وقد أتى مصطلح سوفسطائي من كلمة (سوفيزو) اليونانية التي تعني (أنا حكيم) فهم كانوا يدعون انهم معلموا الحكمة، إذ كانوا يمتلكون بلاغة وفصاحة كبية يخطبون فيها إلى الناس بطريقة يكونون قادرين على اقناعهم، وتمويه الحقائق، بالتلاعب بالالفاظ من خلال الفصاحة والبلاغة التي يمتلكونها. وقد تفادى الفلاسفة اليونان المخالفين لهم مثل سقراط في وصف أنفسهم بالحكماء كونهم يعتقدون إن الله هو الحكيم، وأن مُنتهى جُهدهم وهَمَّتِهم هو أن يسعوا في (طلب الحكمة)، وبالتالي فهم في بحث دائم ومستمر عنها، وإن (امتلاك الحكمة) هو نهاية هذا البحث، وهذا لا يتأتى في هذا العالم اللامثالي. عكس بعض الحكماء أو الخطباء الذين ادعوا امتلاك الحكمة من السوفسطائيين.

اما التعريف الاصطلاحي للفلسفة فقد عُرِفَتْ كثيراً، ويمكن استخلاصه بأنها (التساؤل والبحث في الوجود بما هو موجود، وهي البحث عن حقائق الاشياء، وطبيعتها)

وقد تطور مفهوم الفلسفة كثيراً وصار يُقصد به كل الأسئلة والأفكار والاستنتاجات التفسيرات العقلية التي تناقش الموجودات وتهدف إلى الوصول إلى أسباب وعلل وجودها.

نشأة الفلسفة

اتفق الكثيرون على أن الفلسفة ذات منشأ يوناني خالص؛ ولهذا سُمِّيت الفلسفة قديماً بمصطلح يرجع إلى منشئها اليوناني؛ إذ سمّاها أتباع هذا الافتراض بالمعجزة اليونانية.

وهناك من يرى أن نشأة الفلسفة إلى تفاعلات الشعوب وإسهاماتها جميعها، دون انفراد شعب في تأسيسها وابتكارها؛ حيث قامت الحضارة اليونانية القديمة على أصول المعارف التي نقلتها عن الحضارات الشرقية، ثم نقل اليونانيون تلك المعارف بعد تطويرها إلى الحضارة الإسلامية التي طوّرتها وساهمت في نشرها.

ويكاد ينعقد الرأي على أن الشرق القديم قد سبق اليونان إلى ابتداء حضارات مزدهرة تقوم على علوم عملية ودراسات نظرية دينية، مثل العلوم العملية، منها ابتداء المصريين للرياضيات والميكانيكا والكيمياء والطب، كما إن البابليين والكلدانيين أول من درس اجرام السماء وانشأوا علم الفلك. وفي جمال التفكير الديني، فهناك ما خلفه لنا قدماء الشرق من وجهات النظر العقلي في الالهوية والبعث والخير والشر والمبدأ والمصير إلى غيرها من الافكار التي سبق الشرق فيها النظر قبل اليونان والغرب. فالباحثين يجمعون على أن بعض الفلاسفة قد جاءوا بلاد الشرق امثال طاليس وفيثاغورس وديمقريطس، وقد اخذوا منها وتعلموا على يد ثقافتها.

ولكن جمهرة من المؤرخين المحدثين، ومع اعترافهم بفضل الشرق في تلك الجوانب، إلا أنهم متفقون على أن الفلسفة اليونانية خلق عبقرى اصيل جاء على غير مثال سابق ودليلهم في ذلك أن اخص ميزة يمتاز بها العقل اليوناني؛ التماس المعرفة لذاتها بمعنى أن يتجه العقل الى كشف الحقيقة بباعث من اللذة العقلية، بدون أي دوافع عملية او غايات دينية إذ أنهم بحثوا في الوجود لمعرفة اصله ومصيره، وتأملوا موجوداته وتغيراتها بدافع من الرغبة في طلب المعرفة، ومن غير أن تسوقهم اليها ظروف ملحة.

أولاً- مبحث الوجود (الانطولوجيا (Ontology)

تهتم الفلسفة في هذا المبحث بدراسة الوجود ككل وكوحدة مجردة من المادة، ويحاول الكشف عن القوانين الكلية العامة التي تفسره، من خلال ما يسمى بـ (الميتافيزيقيا) أو علم ما وراء الطبيعة. ويدخل في مبحث الانطولوجيا البحث في خصائص الوجود العامة لوضع نظرية في طبيعة العالم والنظر فيما اذا كان الاحداث الكونية تقوم على اساس قانون ثابت او تقع مصادقة واتفاقا وفيما اذا كانت هذا الاحداث تظهر من تلقاء نفسها ام تصدر عن علل ضرورية تجري وفق قوانين المادة والحركة وفيما اذا كانت تهدف الى غايات او تجري عن غير قصد او تدبير وفيما اذا كان هناك اله وراء عالم الظواهر المتغير وفي صفات الله وعلاقته لمخلوقاته وفيما اذا كان الوجود ماديا او روحيا او من كليهما وقد وضعت فيها عشرات المذاهب حلا لهذه المشكلات الفلسفية.

و الوجود اللامادي يشمل نوعين هما:

- الوجود الروحي : كوجود الله ، ووجود النفس البشرية .
 - الوجود غير المادي : الذي ينتزعه العقل من الوجود المادي المحسوس مثل وجود الخير ، والحرية والعدالة .. إلخ .
- وتحاول الفلسفة في هذه المباحث معرفة حقيقة الوجود أو طبيعة الكون من خلال طرح عدد من التساؤلات مثل :
- هل العالم وجد بذاته أو أن هناك علة أوجدته ؟ فيحاول مبحث الوجود الكشف عن هذه العلة ليهتدي إلى خالق الكون ومن ثم التعرف إلى طبيعة الألوهية وصفاتها .
 - ما الأصل الذي انبعثت عنه الكائنات أو الموجودات ؟ هل هو مادة أم روح ؟ أم مزيج منهما؟
 - هل وراء الظواهر الكونية المتغيرة شيء ثابت ال يتغير ؟

فظهرت اجابات على ذلك كما في الفلسفة المثالية التي تزعمها افلاطون القائمة على اعتبار المثل الروحية هي الاصل وان كل الاشياء انعكاس لها، كما ظهرت بالمقابل الفلسفة المادية التي اعتبرت المادة هي الاصل وكل شيء هو انعكس للمادة، فالفلاسفة الطبيعيون قبل سقراط وهم رواد هذا المذهب الذي امتد ليصل الى المادية الجدلية التاريخية المتمثلة بالماركسة.

ثانياً : مبحث المعرفة (الابستمولوجيا Epistemology)

يسمى هذا المبحث أيضاً بنظرية المعرفة، وفي هذا المبحث يحاول علم الفلسفة البحث في العلم الانساني ، والمعرفة الانسانية بصفة عامة ، إذ يراد به البحث في مدى قدرة الانسان في أن يدرك الحقائق وان يطمئن الى صدق ادراكه وصحة معلوماته ام ان قدرته على معرفة الاشياء مثارة للشك واذا كانت المعرفة البشرية ممكنة وليست موضعاً للشك ولذلك فما هي حدود هذه المعرفة؟ اهي مثالية ام انها يقينية؟ وما هي منابع هذه المعرفة وما هي أدواتها؟ ما هي العقل ام الحس ام الحدس ثم ماهي طبيعة هذه المعرفة وحقيقتها؟ وما هي علاقة الأشياء المدركة بالقول التي تدركها؟

ومن هذا المبحث تُطرح عدد من التساؤلات مثل :

- 1- هل يستطيع الانسان معرفة حقيقة الأشياء أو الموجودات ، وأن يطمئن إلى تلك المعرفة ؟
 - 2- ما هي وسيلة الانسان للوصول الى المعرفة؟ الحس أم العقل أم الحدس ؟
 - 3- وإذا استطاع الانسان معرفة حقيقة الأشياء بإحدى وسائل المعرفة ، فهل للمعرفة الانسانية حدود ؟ أم ليس لها حدود تقف عندها ؟
- وقد اجابت مذاهب عدة على التساؤل من اين تأتي معارفنا؟ فانقسمت كالآتي:

- 1- المذهب العقلي: والذي يرى ان اساس معارفنا هو العقل، ويمثله زينون وديكارت.
 - 2- المذهب التجريبي: والذي يقر بان التجربة هي اساس المعرفة، ويمثله جون لوك وهيوم.
 - 3- المذهب الذرائعي او البراغماتي: الذي يرى ان المعرفة الحقيقية هي في قيمة عواقبها، وما تنتجه من منفعة، ويمثل هذا الاتجاه وليم جيمس وجون ديوي.
- المذهب الحدسي او الالهامي: وهذا الاتجاه يرى ان المعرفة الصادقة تكون في الحدس وحدة ويمثل هذا الاتجاه الصوفية كالغزالي والفيلسوف الفرنسي هنري.

ثالثاً: مبحث القيم (الاكسيولوجيا (Axiology)

هي مباحث تعرض للبحث في المثل العليا او القيم المطلقة بذاتها لا باعتبارها وسائل الى تحقيق غايات وهل هي مجرد معاني في العقل تقوم بها الاشياء ام ان لها وجودا مستقلا عن العقل الذي يدركها؟ الى غيرها من المباحث الموجود في علم المنطق وعلم الاخلاق وعلم الجمال بمعناها التقليدي. أي من حيث هي علوم معيارية تبحث فيما ينبغي ان يكون وليست علما وضعية تقتصر دراسته على البحث فيما هو كائن.

علم الفلسفة في هذا المبحث يهتم بدراسة المثل العليا للكشف عن ماهيات القيم المطلقة التي يسعى الإنسان لتحقيقها في حياتهم، ولكن ماذا يقصد علماء الفلسفة بالقيم المطلقة ؟ لقد ميز علماء الفلسفة بين نوعين من القيم وكما يأتي:

1- القيم النسبية : تعتبر وسائل لتحقيق غايات أبعد منها (مثل الاجتهاد الذي يؤدي إلى النجاح ، والنجاح الذي يؤدي إلى السعادة)، والقيم النسبية متغيرة في الزمان مثل (تغير قيمة الدواء للشخص في حالة الصحة عنها في حالة المرض).

2- القيم المطلقة : تعتبر غايات في ذاتها ، إذ يطلبها الإنسان لذاتها ولا يلتمسها في ذاته لأغراض يبتغيها من ورائها (مثل السعادة التي تعتبر خيراً في ذاتها). والقيم المطلقة ثابتة بمعنى أنها لا تتغير في الزمان، أو في المكان، أو في جميع الأحوال، وهي في غنى عن دليل أو برهان .

وقد حصر علماء الفلسفة القيم المطلقة في ثلاثة قيم هي:

1- قيمة الحق : التي يدرسها (علم المنطق) الذي يساعدنا على التزام الصواب وتجنب الخطأ بتحديد شروط التفكير السليم ، وتمييزه لصحيح الاستدلال من فاسده .

2- قيمة الخير : التي يدرسها (علم الأخلاق) الذي يساعدنا علي توجيه سلوكنا بتحديد لمعاني الخير والشر وتمييزه لمعايير الفضيلة والرذيلة، وشرحه لمفاهيم الضمير ، والمسؤولية والواجب، والسعادة ، واللذة ..إلخ

3- قيمة الجمال : التي يدرسها (علم الجمال) الذي يبحث في قيمة الجمال بتحديد لمعاني الانسجام ، والنظام، والتنسيق، والرشاقة في موضوعات الفن والطبيعة، كما يبحث في موضوعات الإبداع والتذوق، والحكم الجمالي وما إلى ذلك مما يساعدنا على ترقية الذوق ومما يجعل الحياة أكثر بهجة ومتعة